

الحب قد يحول شخصاً مسالماً إلى مجرم

«قرار قاتل» تطرح أسئلة التضحية والمغامرة والجنون

للحكم على فعل ما بأنه أخلاقي أو لا يجب أن ندرسه في إطاره وبيئته وظروفه، فأشنع الأفعال وأكثرها سوءاً مثل الجريمة قد يغدو فعلاً عادياً أو أخلاقياً إذا تغيرت الظروف، مثل من يقتل لحماية وطنه أو عائلته أو نفسه وغيرها من الأثر. لكن يبقى الأمر محط جدل، إذا قرأناه من أكثر من زاوية كما فعل الروائي الإنجليزي جون غرين وود في عمله الروائي المثير «قرار قاتل».

هيثم حسين
كاتب سوري



يثير الإنجليزي جون غرين وود (1921 - 1986) في روايته «قرار قاتل» أسئلة عن التضحية والمغامرة والجنون الذي قد يقيد المرء أو يفتخ به مجالاً للإقدام على أفعال قاتلة واتخاذ قرارات جنونية بذريعة الأبوة والبنوة، وتحت شعار الحب والتفاني والإخلاص الأبوي، وما إن كان بإمكان المرء أن يسرق ويقتل ويرتكب الجرائم بحجة أنه يحمي ابنه من القتل، أو لاستعادة الابن الذي اتخذ رهينة وأداة للضغط ووسيلة للإرهاب والابتزاز.

جرائم وأعداء

يتحدث جون غرين وود - وهو الاسم المستعار لجون بوستون هيلتون - عن التحول الذي يجتاح الإنسان عند منعطف حاد من منعطفات حياته، وكيف أن ذلك التحول قد يخرج من طور إلى آخر، وقد يحوله من إنسان بسيط إلى مجرم محترف، يطور أساليبه في الإجرام، ويتفوق على أعتى المجرمين، حيث يكون دافعه قويا، وقناعه مقنعاً، لا يبدو كمجرم، بل يظهر كضحية مضطرة على تنفيذ إساءات مجرمين آخرين لإقناع ابنه المخطوف. من الأسئلة التي تحضر في سياق الرواية، هل يحول حب

جون غرين وود يفسر التحول الذي يجتاح الإنسان عند منعطف حاد من حياته وكيف يخرج من طور إلى آخر

الاب لابنه المرء إلى قاتل؟ كيف يتم تبرير الجرائم بدافع الحب؟ كيف يمكن للإنسان أن يتحول إلى مجرم من دون أن يحاول إنقاذ نفسه من براءته وحش الجريمة الذي يغرقه ويسير به نحو الهاوية؟ إلى أي حد يكون التحول إلى الإجرام مبرراً بتبريرات الحب والإخلاص والحرص والإنقاذ؟ وهل حقاً يمكن للمرء أن يفعل أي شيء لينقذ من يحب؟ وكيف سيكمل حياته بعد ذلك؟ هل سيزعم أن شيئاً لم يحدث وأن الجرائم التي اقترافها كانت كوابيس انجلت وتبددت؟

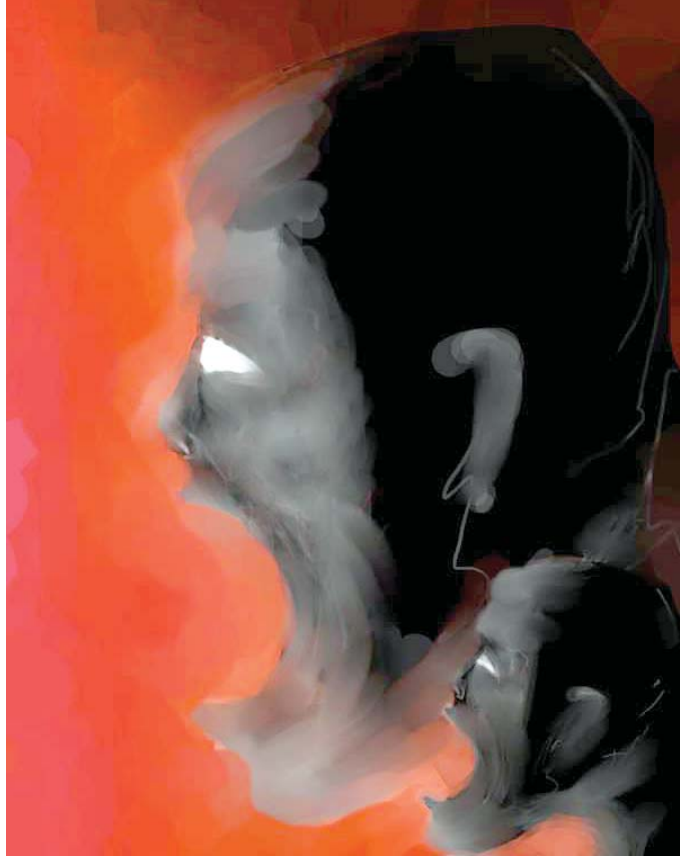
الرواية، الصادرة بترجمة لميس حيدر إسماعيل عن منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب بدمشق، تنتمي إلى الأدب البوليسي، وفيها تخطف عصابة تومي ابن بطل الرواية شيلدون وتطالب الأب بارتكاب جرائم مقابل عدم قتل ولده فتدفعه للسرق والقتل ولأشياء خطيرة تدل على استعداد الأب لارتكاب أي جريمة مقابل حياة ولده.

ويحكي عن إمكانية اختلاق أعداء للجرائم، وحالة المرء في رحلة التحول التي تقيبه غريباً عن نفسه وواقعه، كيف تسكنه الظنون والتخمينات التي تقترب من التأكيدات أنه سيعود لحياته الطبيعية المعتادة بعد أن تنجلي الغمسة، في حين أن الواقع يثبت عكس ذلك، وأن دوامة الإجرام تتحول إلى ورطة ومناهة رمال متحركة تسحب إلى القاع أكثر فأكثر. يتلقى شيلدون اتصالات غامضة من خاطف ابنه تومي، يطالبه الخاطف بالإقدام على ارتكاب بعض الجرائم، وذلك حتى يعيد إليه ولده، فينشق شيلدون وراء الابتزاز ويرضخ له، يقوم بإيداع مبلغ من المال المسروق في أحد البنوك، ثم يتحتم مكتب محاماة ويسير بعض الملفات منه، ويمضي بطريق الإجرام الذي يوضع فيه ويجبر على خوض غماره، ويتهيأ به المطاف ليقتل شخصاً بريئاً اسمه سورينسون دوغلاس.

يشير الروائي إلى الخيارات القاسية التي يجد بطله نفسه محاصراً بها، كأن يصبح مجرماً وقاتلاً ويقضي على شخص بريء من أجل استعادة ابنه، أو أن يصله ابنه جثة هامدة، وهنا يكون الصراع الشرس الذي يدمر



لأجل الابن كل شيء جاتز (لوحة للفنان عمران يونس)



البطل يجد نفسه أمام خيارات قاسية

حياته ويخرجه من طور لآخر، ويبعد عن ذاته، في حين يظن أنه يضحي لينقذ ابنه من القتل. يصف حالة الشعور بتنايب الضمير، وكيف أن هذا الشعور يتحول إلى ضاعط قاهر على شيلدون الذي يغترب عن نفسه، وينسلخ عن كينونته، ويتحول إلى مجرم وقاتل بدافع الحب لابنه والتضحية في سبيل إنقاذه، ويصبح تانيب الضمير محنة متجددة له على الرغم من محاولاته تبرير ما اقترفه تحت وطأة الوحشية التي يعامله بها خاطف ابنه تومي.

بغمض عينيه ويحاول أن يتخيل أن ابنه تومي بخير، ويتذكر أنه يقال بأنه كلما طالت فترة فقدانك لشخص ما، قلت فرص إيجادك له، ويتساءل لماذا يقم شخص نفسه في كل تلك المشاكل ليأخذ تومي ليؤذيه فقط، ويؤكد لنفسه أنه ليس لديه أو لدى تومي اعداء، ولا يعتقد أنه تتساجر مع أحد أو أي شيء من هذا القبيل.

سهم حارق

ينوء الروائي إلى أن بطله لم يفكر قط قبل ذلك أن شيئاً سيجهله يشعر أن الحياة فقدت طعمها، لكن غياب ابنه تومي ووجوده في مكان مجهول جعله يشعر بذلك. يشعر كما لو أن الحياة ليس لها أي معنى إلا باستعادة تومي. لا يدري إلى متى يمكنهم تحمل ذلك، يظن أنه يرتدي الملابس نفسها لأيام، ولا يتذكر في أي يوم هو بالضبط يبدو له وكان العالم توقف. يؤكد الخاطف لشيلدون بأنه سيفعل ما يطلبه منه، سيعطيه كل ما يريد، وأن لديه عدة أعمال بسيطة له، بحسب تعبيره، وبعدها سيعطيه ابنه، ويقول له إنه يعد، وإن كلمة الرجل هي أعلى ما لديه، ويحكي ذلك بشيء من الاستخفاف والسخرية.

يستعيد شيلدون بعض الأفكار المترامكة لديه من متابعة الأفلام وقراءة الكتب، يفكر كيف أن الشرطة تكرر أنها لا تتفاوض مع خاطف الرهائن أبداً، لكنه يتساءل إن كانت ستتصرف بطريقة مختلفة لو كان طفل أحدهم هو الرهينة.

يفضي شيلدون أمر تواصل الخاطف معه حرصاً عليه وعلى ابنه، ويبرر لنفسه أنه سيقوم بتأدية المهام التي يطلبها منه الخاطف وسينتهي به الأمر لاستعادة ابنه، وسيسير كل شيء بشكل جيد، ولن يضطر إلى فقدان ابنه، ويجد نفسه قادراً على النوم بالرغم مما أدم عليه من جرائم.

لا تتعلق المسألة بانقشاع غمامة الغلغلا، حيث أن الخاطف يكون موظفاً سابقاً طرده شيلدون من العمل، ومعه عصابة لسرقة الأموال، واختلف مع بعض

أفرادها، فأمر شيلدون أن يقتله، وكان سورينسون بدوره شريكاً في الإجرام الذي ارتكب عليه، وبدا كسهم حارق يعود إليه ليفتك به.

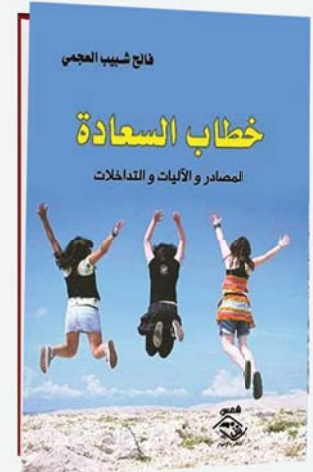
يختار وود غرين لروايته نهاية سعيدة، تبدو درامية قريبة مما يريد القارئ، حيث ينتهي اللغز بانتحار المجرم وإلقائه اللوم على شركة شيلدون في ذلك، وتخصيص شيلدون وحياته من أجل مساعدة الآخرين، والسعي ألا يفسد أحد حيوات الناس الأبرياء بعد ذلك، ويحرص على أن يكون متفانياً في مهمته التي ينذر نفسها لها، ويستقي من تجربته المريرة التي تنتهي بعودة ابنه سالماً، دروساً حياتية قيمة، ويؤكد أنه سيلتزم بوعده أن يكون موجوداً لمساعدة الآخرين.

لعل ما يلفت في الرواية، هو معالجة الروائي لتصور المرء أن حياته أو حياة ابنه أو عائلته قد تكون أهم من حيوات أناس آخرين أبرياء، وأن إنقاذ أحد أفراد أسرته يبرر له جريمة قتل آخرين، وفكرة الشعور بقيمة الحياة له ولأسرته وسلب تلك القيمة من الآخرين الذين لا يعرفهم، وكانهم غير موجودين، وأن حياتهم لا تحظى بأي أهمية، وكأن معيار الأهمية ومقياس التقويم يعتمدان على منظره للقيمة والتصور والتقدير، لا على الفكرة الأشمل المتعلقة بقيمة الحياة الإنسانية للجميع، من دون أي تفضيل أو قناع.



علم القرن الحادي والعشرين

يتناول كتاب «خطاب السعادة» للباحث السعودي فالح شبيب العجمي، مفهوم «السعادة» بوصفه فعلاً عقلياً يرتبط بالتحصيل والتعود؛ فالسعادة بحسب المؤلف ليست أمراً تصنعه الطبيعة، فنحن لا نولد سعداء، وإنما نصبح كذلك. ويوضح العجمي في كتابه، المصادر عن



مؤسسة شمس للنشر والإعلام، أن علم السعادة نشأ حديثاً ضمن حقول المعرفة الجديدة؛ فهو يبحث في العقل والدماغ والجسد والنشاطات الاقتصادية في تدخل بين العوامل متبادلة التأثير، عدا الاهتمام بالمشكلات الفلسفية الميتافيزيقية عن ذلك التداخل، مما منحه لقب «علم القرن الحادي والعشرين».

ويرى المؤلف أن كل مجتمع يعتقد أنه يعيش في مركز الكون، ولديه ميزة استثنائية تمكنه من العبور إلى المستقبل. ومن خلال هذه الثقة جابهت المجتمعات القوى التدميرية غير المنضبطة، ولهذا بدأ البحث عن الأفعال العقلية ذات المردود الإيجابي، ومنها مفهوم «السعادة».

أمراض المدينة العربية

كتاب «الإنسان والعمران واللسان: رسالة في تدهور الأنساق في المدينة العربية» للباحث إدريس مشلول، رسالة في تدهور الأنساق في المدينة، تتسم بقدر كبير من الجراءة، تتجاوز انغلاق القطاعات المعرفية في مقاربتها لمرض التمدن، من أجل بحث العلاقة بين اللساني



والاجتماعي. ويحاول الكتاب أن يقدم تفسيراً لعدد من الظواهر التي باتت اليوم علامة واضحة ومؤشراً دالاً على «مرض المدينة»، وعلى «تشوهات حياتنا المدنية» التي تعتبر نتيجة طبيعية للإقبال على المدينة من دون تخطيط أو تفكير.

ويخلص المؤلف في كتابه، الصادر عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، إلى أن الأنساق العمرانية هي أنساق سيميائية ذات بُعد ثقافي، وهي حين تنتقل من دون وعي من سياق حضاري إلى آخر توزع استبدادها وقهرها على الذين انساقوا في لحظة انزلاق حضاري إلى ومضة علامة يجهلون عواقب تبنيها.

مذكرات شخص وبلد

صدر الجزء الأول من المذكرات الشخصية للكاتب للمؤرخ الأردني علي محافظة سنة 2011، بعنوان «ذاكرة الأيام»، مغطياً الفترة ما بين (1938 و1971)؛ وصدر الثاني سنة 2012، بعنوان «أربعون عاماً من التعليم الجامعي» مغطياً الفترة ما بين (1971 و2011).



وبعد انقضاء كل هذه السنوات على صدور الجزئين، وما طرأ من أحداث، كان لا بد من جمع شتات هذه المذكرات بتعديلاتها وإضافتها المهمة في كتاب واحد. وانطلاقاً من ذلك صدر أخيراً، عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر، كتاب «ذاكرة الأيام - عمر من التعلم والتعليم والعتاء الفكري».

تمثل هذه المذكرات وعي واحد من أبرز الشخصيات العلمية والأكاديمية الأردنية. ويسرد المؤلف من خلالها التطور الذي حصل في الأردن، حيث يمكن للكاتب أن يساعد الباحثين في بناء تصور عن كيفية تطور الجوانب المختلفة في الأردن.